

في بيئة صحراوية قاسية؟ ألا تشبه لواحق التأنيث أو زوائده، أو
مميزاته — كما ارتضيناها — أولاد المرأة يلحقون بها، ويميزونها من
غيرها؟ وكيف يؤنث الجاهلي أسماء آلهته: اللات، والعزى،
ومناة الثالثة الأخرى إذا كان التأنيث، عنده، يدلّ على
«الأدنى — الأقل قيمة»؟ بل كيف يؤنث الجاهلي أسماء القبائل
إذا كان التأنيث يمثل «الأدنى — الأقل قيمة»، أو الخرافة.
والقبيلة بالنسبة للجاهلي هي كالماء للسّمك؟

درست، بعد ذلك، مميزات التأنيث الثمانية: التاء المربوطة،
والتاء المفتوحة، والألف والتاء، والألف المقصورة، والألف
الممدودة، والكسرة، والياء، والنون... وخرجت بنتيجة أولية
تفرض على الباحث التفريق بين اللغة كـ «أصوات»، وبين لغة
الكتابة، أي التفريق بين اللغة المنطوقة «واللغة المكتوبة»... وكذلك
التفريق بين اللهجات، ودراسة دورها في تأليف اللغة العربية
الفصحى، أو اللغة الموحّدة.

— فالطائيون، والحميريون، وبعض بني أسد، مثلاً،
يقفون على كلّ اسم مؤنث بالتاء، ولا يقفون «بالهاء»، فيقولون،
مثلاً: مسلمت، آيت، غلصمت، أمت، طلحت، بعدمت،
بنت، أخت... الخ. ولا تزال بقايا هذه اللهجات موجودة في
لهجات بعض اللبنانيين.

— وقبيلة طيّبى، مثلاً، من القبائل التي كانت تؤثر الوقوف
على آخر الاسم المؤنث بـ «الهاء» مطلقاً، فيقولون: الشجره،